

عبد العزيز الرفاعي



أمّكمارة

الصّحابة الباسلة

طبعة مزيدة ومنقحة

منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

المكتبة الصغيرة

٦

أم عمارة الصحائية الباسلة

طبعة مزيدة منقحه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يرى جهاد أم عمارة وبساتنها يوم أحد :
« ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ؟ »

وقال صلى الله عليه وسلم ، وهو يشهد جهادها
وزوجها وابنها يوم أحد :
« بارك الله عليكم من أهل بيت ، رحمكم
الله أهل البيت . .

اللهم اجعلهم رفقا في الجنة »

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- بسم الله الذي جعل الاسلام هو الدين القيم .
- والحمد لله الذي اظهره ، وعمم رسالته .
- والصلاة والسلام على رسوله الذي ناضل لنشره
- واحتمل وصابر حتى انتصر دين الله القويم .
- ورضي الله عن العصابة الطاهرة - رجالها ونسائها
- التي آزرت دينه ورسوله من صحابته الأبرار .

مقدمة

كنت قبل عيد الفطر المبارك من سنة ١٣٩٠ هـ أفكر بإلحاح في وضع رسالة مختصرة لهذه السلسلة عن الصحابي الأديب الشاعر البطل : ((كعب بن مالك)) . وقد وجدت في شخصيته المثيرة ، بكل صفاته ، وبعظمة الصدق في نفسه ، حتى في أخرج المواقف ، وأحلكها ، ما جعلني أوالي الاهتمام بما فكرت به ، فكان الكتيب الرابع من سلسلة المكتبة الصغيرة ..

بيد أنه لم يكد يمضي شهر ، على انجازي كتيب كعب ابن مالك ، وتطل أيام عطلة عيد الأضحى المبارك من العام نفسه ، حتى وجدتني أفكر بإلحاح أشد ، في شخصية أشد اثارة ، هي شخصية ((أم عمارة نسيبة بنت كعب)) .

ولكن مهلا ، لم كانت أم عمارة أشد اثارة ؟

لقد كان مصدر البطولة هذه المرأة امرأة ، والمرأة حينما تتخطى حواجز أنوثتها ، لتدخل بطولة الأبطال من الرجال ، تعتبر بطولتها في ميدانهم أكثر استلغافا للنظر ، وأشد اثارة للاعجاب !

ولو كانت أم عمارة مجرد امرأة محاربة ، لقلت ان لها نظائر في التاريخ ، يشاركنها هذه الميزة ، فهل تميز عنهن أم عمارة .. ؟
لقد تميزت ..

فأم عمارة لم تكن محاربة محترفة .. والموقعة الأولى

التي يسجل لنا التاريخ اشتراكها فيها .. لم تدخلها محاربة
بل إن الاشتراك في الحرب لم يخطر لها على بال !

لقد ذهبت الى المعركة ، مجرد امرأة تحمل انسانيتها
وحنوها ممثلين في سقاء تسعف به عطشى المسلمين ،
وعصائب على حقويها تضمد بها جرحاهم ! ولا شيء أكثر
من ذلك ..

ولكنها ، عندما رأت الهزيمة ، تأخذ بأطراف الجيش
الاسلامي ، وينكشف الناس عن رسول الله ، حتى لم يبق
حوله إلا أقل القليل من الرجال .. نعم من الرجال ..
اندفع ههنا إيمانها العميق لتدافع عن الرسول الكريم
صلى الله عليه وسلم ، وكان سلاحها ما تلتقط من ميدان
المعركة .. السلاح الذي تخلى عنه الرجال !

وهكذا وجدت نسبية نفسها امرأة محاربة .. وصمد
إيمانها ، فأتقنت الدفاع ، بقدر ما تستطيعه امرأة تضعها
الظروف هذا الموضع ..

وحينما سجل لنا التاريخ للمرة الثانية أم عمارة تحمل
السلاح ، كانت بطولتها هذه المرة نابعة من أنوثتها ..
فقد ثكلت ابنها ، وأرادت أمومتها المصحوبة بالإيمان العميق
أن تنتقم ممن قتل ابنها .. وكان الله معها .. فانتقمت !
ولم تكن هذه الجوانب فقط هي الجوانب المثيرة في
شخصية أم عمارة ، وأن تكن كافية لتجعلها كذلك !

بل كانت هناك جوانب أخرى تزيد من اعجابنا بهذه
الشخصية ..

فقد كانت أم عمارة مثلاً للمرأة الصالحة ، الواعية
الراوية ، التي تفكر في بنات جنسها وتعنى بأمورهن ..

كما فعلت حينما قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ما أرى كل شيء إلا للرجال .. » تطالب بحق المرأة
من الأجر .

كانت شخصية أم عمارة بكل اثارتها ، وحركتها ،
وعظمتها ، تهيب بي أن أجعل للمرأة نصيباً في « المكتبة
الصغيرة » ، وأن أبدأ بأم عمارة ، كمثال نبيل للجهاد ، ونحن
في وقت أحوج مانكون فيه لنضرب الأمثلة على الجهاد ، الجهاد
الذي يسهم فيه الرجال والنساء .. لندافع جميعاً عن
مقدساتنا ونسترجع الحقوق التي استبيحت .. ولن نفعل
ذلك مالم نصدر - رجالاً ونساء - في جهادنا ، عن إيمان
عميق ، مثل ذلك الإيمان الذي تجلّى في موقعة أحد ، إيمان
بأن موقف المسلمين هو الأعلى ، مهما كانت الظروف ، لأن
الأيام مداولة .. ويجب أن نملك الصمود والكفاح ، والنضال
.. ليكون لنا النصر الأخير .

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ●
إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح» مثله ، وتلك الأيام
نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء
والله لا يحب الظالمين ● ولیمحصّ الله الذين آمنوا ويمحق
الكافرين ● أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم ويعلم الصّابرين » .

وهكذا وجدتني أكتب باندفاع ، مسجلاً ما سجلت
من هذه الرسالة المتواضعة .. راجياً أن أقدم للقراء صورة
للمرأة المسلمة المثالية .. وأن أضع بين يدي الفتاة في بلادنا ،
وفي كل بلاد عربية وإسلامية هذا المثل الرفيع ، داعياً الله

عزَّ وجل أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم .

وقد جعلت الرسالة على قسمين :

القسم الأول - يحتوي على قصة بطولة أم عُمارة ، في مواقفها ، يوم العقبة ، ويوم أحد ، ويوم اليمامة .. وقد حرصت على أن يكون لهذا القسم طابع القصة الواقعية التي تلتزم الأحداث ، ولكنها لا تقف للدرس والبحث والاستنتاج بل تظهر البطولة الزاخرة بالحركة والحيوية والإيمان .

أما القسم الثاني - فهو ما يخص الدرس والبحث تناول حياة أم عُمارة ، ونسبها ومكانتها ، وسيرتها ..

وأرجو بذلك أن أكون قد وفقت بعض التوفيق بين الرغبتين ، رغبة القارئ الذي يلتمس القصة لا البحث والآخر الذي يهتم بالبحث والقصة معاً ، أو قد يكون البحث هو اهتمامه الأول ..

ولا يفوتني أن أذكر بالشكر جهد أخوة كرام اهتموا بتعصيدي وتشجيعي ، عندما علموا عزمي على وضع هذه الرسالة ، فلهم خالص ثنائي وشكري .

ومن الله أستمد العون والتوفيق

عبد العزيز الرفاعي

الرياض : ذو الحجة ١٣٩٠ هـ

فبراير (شباط) ١٩٧١ م

١

قِصَّةُ بَطُولَةٍ

الفصل الأول

أغمضت قریش عینہا عن ذلك النور الذي أخذ ينبعث في بطاح مكة .. الا عدداً يسيراً منهم اهتموا به ، واستجابوا لدعوة محمد الأمين صلى الله عليه وسلم الى دين التوحيد ..

ولم تكتف قریش بموقفها السلبي من الدين الجديد بل أخذت تصد عنه ، كل من يفكر أن يلتحق به .. وأخذت تنزل أشد إيذائها ونكايتها بمن تستطيع أن تؤذي من ذلك العدد القليل ، الذي آمن بدعوة الله ، الى جوار بيت الله ، الذي بناه أبو الأنبياء ابراهيم في الوادي المبارك . وأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن قریشاً أوصدت أحاسيسها تماماً تجاه دعوته ..

إذاً فلم يبق في مكة الآن أمل ..

فليتجه الى الطائف القرية الثانية .. حيث ثقیف .. ولكن موقف سرارة ثقیف من دعوة النبي القرشي كان موقفاً قاسياً ، فيه الصد كل الصد ..

ورجع محمد عليه الصلاة والسلام الى قريته الأولى
دامي القدمين ، حزين القلب ..! بيد أنه لم يفقد الأمل
.. فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً ..

بقيت هذه القرية الحجازية الثالثة ترى أنتصر يثرب
دعوة محمد بن عبد الله ؟ لم لا ؟ أليس فيها أخوال جده
من بني النجار ؟ ولكن أينصره أخوال جده بينما خذلته
عشيرته الأقربون ؟

ولكن لم يذهب محمد الى القرى جنوباً أو شمالاً
وهذه القرى تأتي إليه في بلده .. ؟ أليست مكة مقصداً
لحجاج القبائل من كل قرية .. ؟ اذاً فليستمر في عرض
دعوته على هؤلاء الحجاج لعل فيهم من يستجيب الى الحق
فينصره .. وليكن بين هؤلاء القبائل حجاج يثرب ..

وعند العقبة من منى عرض الاسلام على نفر من
الخزرج ، فسرعان ما آمنوا ، أليس هذا هو النبي الذي
أظل زمنه ؟ أليس هو الذي توعدنا به يهود يثرب ؟ فلنكن
أسبق إليه من يهود .. !

ورجع نفر الى المدينة ، فنشروا الاسلام في بيوتهم
فلما كان من العام القابل ، جاء من الخزرج عشرة
نفر ، ومن الأوس نفران ..

وبعد عودتهم ازداد انتشار الاسلام في يثرب ..
فلما كان من العام الثالث .. ازداد وفد أهل يثرب
الذين رغبوا في بيعة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ،
فإذا عددهم يصل الى اثنين أو ثلاثة وسبعين رجلا ، وتشترك
معهم امرأتان .. وكان عدد الأوس منهم أحد عشر رجلا ،
أما البقية فكانوا من الخزرج ..

وكان عدد الخزرج أظهر في كل بيعات العقبة ..
ولأترك لرجل من الخزرج ، هو كعب بن مالك رضي
الله عنه^(١) ، أحد الذين شهدوا بيعة العقبة الكبرى أن يقص
قصتها :

« .. ثم خرجنا الى الحج ، وواعدنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم العقبة ، من أوسط أيام التشريق ، فلما
فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام
أبو جابر ، سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه
معنا ، وكنا نكتم مَن معنا من قومنا من المشركين أمرنا
فكلمناه ، وقلنا : يا أبا جابر .. انك سيد من ساداتنا ،
وشريف من أشرافنا ، وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون

(١) صدرت عنه الحلقة الرابعة من سلسلة « المكتبة الصغيرة » .

حطباً للنار غداً .. !

» ثم دعونا الى الاسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة .. فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً ..

» فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل ، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تتسلل تسلل القطا ، مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نسائنا ، نسيبة بنت كعب أم عُمارة ، إحدى نساء بني مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابتى إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع ..

» فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب (عمه) وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له !

» فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال :

» يا معشر الخزرج ، وكانت العرب انما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج - خزرجها وأوسها -

إِنَّ مُحَمَّدًا مِّنَا حَيْثُ عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا ، مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ ، فَهُوَ فِي عِزِّ مَنْ قَوْمُهُ ، وَمِنْعَةٍ فِي بَلَدِهِ ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الْإِنْحِيَاظَ إِلَيْكُمْ ، وَاللِّحْقَ بِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافِقُونَ لَهُ بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحْمِلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ ، فَمِنَ الْآنَ فَدَعُوهُ ، فَإِنَّهُ فِي عِزِّ مَنْ قَوْمُهُ وَبَلَدِهِ •

« فَقُلْنَا لَهُ : قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ ••

« فَتَكَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَلَا الْقُرْآنَ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ ، وَرَغِبَ فِي الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَبَايَعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ •

« فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ يَدَهُ ، ثُمَّ قَالَ :

« نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ إِزْرَنَا (أَيُّ مُحَارَمَتِنَا) ، فَبَايَعَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَنَحْنُ وَاللَّهُ أَهْلُ الْحُرُوبِ ، وَأَهْلُ الْحَلِيقَةِ وَرَثَتُهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ••

« فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ — وَالْبَرَاءُ يَكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيْهَانِ • فَقَالَ :

« يا رسول الله .. ان بيننا وبين الرجال (يعني اليهود) حبلاً وإثماً قاطعوها ، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا ؟ »
 « فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم ! »
 « ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : — اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيباً ، ليكونوا على قومهم بما فيهم » .

« وكان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ، ثم بايع بعده القوم » .
 إذاً فقد كانت هناك امرأتان بين ذلك العدد من الأنصار الذين شهدوا بيعة العقبة الكبرى ، تلك البيعة التي كانت حداً فاصلاً بين عهدين من عهود الاسلام ، عهده الأول في مكة ، وهو عهد التأسيس المقرون بالصبر والاحتمال ، وعهده الثاني في المدينة ، وهو عهد البناء المصحوب بالقوة والصلابة .

وكانت أم عمارة نسيبة بنت كعب ، احدى تينك

المرأتين اللتين سعدتا بهذا اللقاء التاريخي ، الذي شكل
وساماً خالداً لأصحابه يفخرون به ما عاشوا ، ويبقى في
ذكرهم ما بقي التاريخ .. كما شكل يوم بدر ، فخراً باقياً
للبدريين ، بل لقد كان من الصحابة العقبيين الذين شهدوا
بيعة العقبة ، من كان يوم العقبة لا يعدله عنده يوم حتى
ولا يوم بدر !

تري ماهي مشاعر تينك المرأتين اللتين شهدتا بيعة
العقبة الكبرى .. ؟

ما مشاعرهما ، ازاء ذلك الموقف العظيم ، وقد مضى
من الليل ثلثه من ذلك اليوم من أوسط أيام التشريق ،
والناس نيام ، ولم يبق يقظان ساهراً إلا القمر ، يلف
وديان منى وشعابها في غلالته الفضية الرقيقة .. وهاهم
القوم الذين تواعدوا على البيعة يوقظ بعضهم بعضاً في
رفق وهمس .. ليخرجوا من رحالهم الى موعدهم ..
وأى موعد تاريخي عظيم .. ينتظرهم ، ومع من ؟ انه مع
محمد بن عبد الله آخر الرسل .. الذي حقق آخر لقاء
للنبوة بين السماء والأرض ، فأى شرف يحوزه هؤلاء
الذين أتيحت لهم فرحة اللقاء بهذه الفرصة الأخيرة من عهد
الرسالات ..؟ وفي مثل هذا الشرف العظيم شرف البيعة

على النصرة والمنعة .. ؟

هكذا كان حظ أم عمارة عظيماً ..

لقد مضت مع زوجها غزيرة بن عمرو لتكون ضمن
من أتيح لهم شرف البيعة ..

إذا لم يفت المرأة أن تمثل النساء في هذا اللقاء
الفريد ..

قالت أم عمارة تصف ذلك اللقاء الفذ :

« كانت الرجال تصفق على يدي رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ليلة العقبة ، والعباس آخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما بقيت أنا وأم منيع ، نادى
زوجي غزيرة بن عمرو : يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتا
معنا يبايعانك . فقال : قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه ،
اني لا أصافح النساء .. »

وهكذا سعدت أم عمارة بهذه البيعة التي لم تسعد بها
من النساء إلا هي وزميلتها ..

وهكذا رجعت الى يثرب ، تضم جوانحها على سعادة
غامرة لا تعدلها سعادة ، فقد رأت رسول الله ، وبايعها
الرسول على ما بايع عليه قومها !

الفصل الثاني

أخذ الاسلام ينتشر في يثرب .. يغمر نوره الباهر دورها داراً داراً .. فاذا اسم الله تعالى على كل لسان .. وإذا الايمان به يعمر كل قلب .. من ذلك الوسط الذي استجاب للدعوة ، ووجد حلاوتها ..

وأخذ اسم الرسول العظيم ينتشر في الوسط المؤمن تصحبه هالة عظيمة من الحب والإعجاب ، وأخذ أولئك الذين سعدوا بلاقائه يتحدثون عنه .. ويشبعون فضول أولئك الذين لم يسعدوا بعد بهذا اللقاء .. كيف هو ؟ وكيف حديثه ؟ وماهي دعوته ؟

وكانت أم عمارة وزميلتها هما وحدهما فقط اللتين في وسعهما أن تتحدثا عنه من بين نسوة يثرب .. وأن تصفا رسول الله ولقاءه التاريخي ، لقد كان لهما هذا الشرف وحدهما .. !

وتتالت الأحداث لنصرة دين الله في يثرب .. هذا مصعب بن عمير القرشي ، مبعوث رسول الله الى الأنصار يقرئ القرآن الكريم ، ويرشد الى الاسلام ..

بل هذا رسول الله عليه الصلاة والسلام نفسه يهاجر
الى يثرب ، ليتخذ منها مركزاً جديداً لدعوته .. وليسميتها
مدينة رسول الله ، فتضج به فرحاً ، وتعم بها البشرى ،
ويملاً السرور الغامر كل جانحة مؤمنة ..
وتتالى الأحداث ..

ألم يرد في تلك البيعة التي شهدتها أم عمارة أنها بيعة
ملزمة يختلط بها الدم بالدم ..

لقد وصلت الدعوة الى منطقة الدم ..
لا بد من الدم .. اذا لم يكن منه بد ..
وانه الدور التالي بعد دور الدعوة بالحسنى ..
والتقى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ومعه
المهاجرون والأنصار ، مع جيش قريش في موقعة بدر ..
ودارت الدائرة على قريش ..

وجرت قريش أذيال هزيمتها الى مكة ، بعد أن
خلفت في بدر ، عدداً كبيراً من القتلى ، وبعد أن حملت
معهها عدداً كبيراً آخر من الجرحى .. وبين أولئك وهؤلاء
مشاهير من رجالها ، وصناديد من أبطالها ..
بيد أنها أضمرت انتقاماً ..

وكان يوم أحد ..

لقد حشدت قريش حشودها ، ومضت تغذ السير
الى المدينة .. وهي تعسكر على مقربة منها ..

وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم ، في المسلمين ،
فعسكر قرب أحد ، الجبل خلفه ، والأعداء أمامه ..

ووضع الرسول القائد خسين رامياً بالسهم ليحمي
جيش المسلمين من أن يأتي العدو من الخلف من قبل الجبل ،
ونبه على هؤلاء الرماة أن لا يتركوا أماكنهم مهما كان
الموقف من نصر أو هزيمة أو غنيمة ..

ودارت رحى الحرب •

وهبت ريح النصر مع المسلمين ..

وانهزم العدو .. وأخذ في الهرب .. ولاحقه جيش
الاسلام .. قتلاً وضرباً .. وأتيحت الغنيمة للمسلمين ..
ورأى الرماة اخوانهم من جيش المسلمين يهتبلون
فرصة الغنيمة المتاحة .. وتاقت نفوسهم الى أن يكون
لهم فيها نصيب ..

وتدخل رئيسهم « عبد الله بن جبير » ينصحهم

ويشدد النصح أن لا يتركوا أماكنهم ، ويذكّرهم بأوامر الرسول .

ولكن الإغراء كان كبيراً ، لقد انهزم القوم وهامهم يولون الأدبار ، وهامي غنائمهم تتاح للمسلمين . . .
وترك عدد كبير من الرماة أماكنهم ، طلباً للغنيمة . . .
ورأى خالد بن الوليد ، قائد الخيالة في جيش قريش - وكان لم يسلم بعد - خلواً أمكنة الرماة ، فاهتبل الفرصة . . . وقام مع رجاله بحركة التفاف من الخلف ، وقتل من بقي من الرماة . . . وفاجأ المسلمين من خلفهم . . . فتحول النصر الى هزيمة ، واشتد القتل في صفوف المسلمين ، وطلب النجاة عدد منهم . . . وتفرق الرجال الذين كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الا القليل القليل . . .
وصاح صائح الكفار لقد قتل محمد . . . فاشتد هلع المسلمين وسقط في أيدي بعضهم . . . ورأى بعضهم أن لا داعي للحرب بعد النبي . . . بينما ظل نفر يقاتلون ثابتين . . .

إذاً فقد وصلت المعركة الى أوجها ، واحتدمت الحرب أيما احتدام ، بين قريش ، وبين أولئك نفر القليل الذين ثبتوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .
وهنا في هذا الموقف الحرج الذي وصل مداه حرجاً

وكرهاً .. نرى أم عمارة .. نسيبة بنت كعب الخزرجية
— نراها تتخذ موقفاً بطولياً عجيباً .. !

ولكن ما الذي أتى بأم عمارة هنا .. الى المعركة .. ؟
ان أم عمارة تحمل حساً انسانياً عالياً ، وضميراً يقظاً
لقد أتت لتكون خلف الصفوف ، ومعها سقاؤها ،
لتسقي الظامىء من عسكر المسلمين ، وأتت ومعها عصائبها
ولفائفها لتضمد جرحاهم ..

ومرة أخرى أترك أم عمارة نفسها تتحدث :

روت أم سعد بنت سعد بن الربيع قالت :

« دخلت عليها — أي على أم عمارة — فقلت :

حدثيني خبرك يوم أحد ؟

« قالت : خرجت أول النهار الى أحد ، وأنا أنظر

ما يصنع الناس ، ومعى سقاء فيه ماء ، فاتتهيت الى رسول

الله ، وهو في أصحابه ، والدولة والريح للمسلمين ..

« فلما انهزم المسلمون ، انحزت^(١) الى رسول الله ،

فجعلت أبأشر القتال ، وأذب^(٢) عن رسول الله بالسيف ،

وأرمي عن القوس ، حتى خلصت^(٣) اليّ الجراح !

قالت أم سعد : فرأيت على عاتقها جرحاً له غور

(١) ملّت (٢) أدافع (٣) وصلت .

أجوف ! فقلت :

« — يا أمّ عمارة من أصابك بهذا ؟ »

فقالت : أقبل ابن قمئة وقد ولى الناس عن رسول

الله ، يصيح : دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا •

فاعترض له مصعب بن عمير ، وناس معه فكنت فيهم ،

فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته على ذلك ضربات ،

ولكن عدو الله كان عليه درعان • » اهـ

وكانت ضربة ابن قمئة ضربة قاسية شديدة ، غارت

في عاتقها ، وظل جرحها يدمي ، تعالجه طوال عام كامل ••

ولكنه لم يكن جرحها الوحيد •• فقد تجاوزت

جراحها العشرة عدداً ••

لقد اشتدت حميتها •• وغلت عروقها ، وثارت

ثأثرتها •• فشمرت عن ثيابها وشدتها الى وسطها ، وأخذت

تقاتل قتال الأبطال بكل ما يصل الى يدها من سلاح الميدان

•• فقاتلت بالسيف ، ورمت بالقوس ، وتترست بالترس ،

واختلفت عليها ضربات السيوف ، والرماح ، ولكنها لم

تعبأ بكل ذلك ، فقد ظلت صامدة ثابتة كالجبال

الراسية •• !

هاهو عمارة بن غزية يروي عنها :

« قد رأيتني ، وانكشف الناس عن رسول الله فما بقي إلا في نصير ما يتمون عشرة ! وأنا وابنائي وزوجي بين يديه نذب عنه ، والناس يمرون به ! ، ورآني لا تثرس^(١) معي ، فرأى رجلاً مولياً ! معه تثرس .. فقال لصاحب التثرس :

« ألق تثرسك الى من يقاتل .. »

« فألقى ترسه .. ! فأخذه ! فجعلت أتثرس به عن رسول الله ، وانما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل !! لو كانوا رجالاً^(٢) مثلنا أصبناهم ان شاء الله .. فيقبل رجل على فرس ، فيضربني ، وتترست له ، فلم يصنع سيفه شيئاً ، وولى .. وأضرب عرقوب^(٣) فرسه فوقع على ظهره ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصيح — يا ابنَ أمِّ عمارة .. أمَّك .. أمَّك ! فعاونني عليه حتى أوردته شعوب^(٤) » .

وقد حازت بطولة هذه المرأة الشجاعة التي تحارب بكل سلاح ، وتقدم روحها فداءً للرسول الكريم ، وتعمل

(١) التثرس : بضم التاء وسكون الراء ، صفحة من الحديد الصلب تستعمل للوقاية من الرمح ونحوه .

(٢) رجالة : بفتح الراء : مشاة .

(٣) العرقوب : هو العصب الغليظ الذي يكون فوق عقب القدم .

(٤) كتابة عن المنية : بفتح الشين .

في الميدان الانساني ، فتسقي العطشى ، وتضمّد الجراح ••
 حازت بطولتها اعجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ••
 روى ابنها عبد الله بن زيد ، فقد كان معها في هذه
 المعركة العنيفة هو وأخوه حبيب بن زيد •• قال :
 « جرحت ، يومئذ جرحاً في عضدي ^(١) اليسرى ،
 ضربني رجل كأنه الرّقل ^(٢) ، ولم يعرج ^(٣) علي ، ومضى
 عني ، وجعل الدم لا يرقأ ^(٤) . فقال رسول الله :

— اعصب جرحك •

فتقبل أمي اليّ ، ومعها عصائب ^(٥) في حقويها ^(٦) قد
 أعدتها للجراح ، فربطت جرحي ، والنبي واقف ينظر الي
 ثم قالت :

— انهض بُنيّ فضارب القوم !

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

(١) العُصْدُ : بضم العين والضاد : الفليظ من الذراع من المرفق
 الى الكتف .

(٢) الرّقل : بفتح الراء المشددة ، وسكون القاف : النخلة الطويلة .

(٣) لم يُعَرِّج : لم يقف .

(٤) يرقأ : يجف .

(٥) عصائب : جمع عصابة : ما يعصب به الجرح .

(٦) الحقو : الحصر .

— ومن يطيق ما تطيقين يا أمَّ عمارَة !
 وتقول أم عمارَة : « وأقبل الرجل الذي ضرب ابني ،
 فقال رسول الله : — هذا ضارب ابنك •
 » فأعترضه له ، وأضرب ساقه ، فبرك ! فرأيت
 رسول الله يبتسم ، حتى رأيت نواجزه^(١) وقال :
 — استقدت^(٢) يا أم عمارَة
 » ثم أقبلنا نعله^(٣) بالسلاح ، حتى أتينا على نفسه •
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
 — الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك من عدوك
 وأراك تارك بعينك ! •
 وروى ابنها عبد الله أيضاً قال :
 » شهدت أحداً مع رسول الله ، فلما تفرق الناس عنه ،
 دنوت منه أنا وأمي نذب عنه ، فقال :
 — ابنَ أم عمارَة ؟
 قلت : نعم
 قال : ارم ••

(١) النواجز : جمع ناجذ ، وهي الأضراس .

(٢) من القَوَد وهو القصاص : أي اقتصصت منه .

(٣) نعله : بضم العين أو كسرهما : نضره مرة بعد مرة .

« فرميت بين يديه رجلاً من المشركين بحجر ، وهو على فرس ، فأصبت عين الفرس ، حتى وقع هو وصاحبه ، وجعلت أعلوه بالحجارة ، حتى نَضَدَتْ^(١) عليه منها وقرأ^(٢) ، والنبي صلى الله عليه وسلم ، ينظر ويتنسم ، ونظر جرح أُمِّي على عاتقها ، فقال :

— أَمَّاكَ .. أَمَّاكَ .. أعصب جرحها بارك الله عليكم من أهل بيت ، مقام أَمَّاكَ خير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهل البيت ، ومقام ربيك — يعني زوج أمه — خير من مقام فلان وفلان ، رحمكم الله أهل البيت • «
قالت : — أدع الله أن نرافقك في الجنة •
فقال : اللّٰهُمَّ اجعلهم رفقائي في الجنة !
فقالت : ما أبالي ما أصابني من الدنيا • • ! «
وانتهت معركة أحد • •

ورأت قريش أن قد شفت من المؤمنين غليلاً • • وان كانت قد دفعت ثمن ذلك غالياً ، دماً وأموالاً ، ولكن هل

(١) نَضَدَتْ : بفتح الضاد : أي جعلت الحجارة عليه متراكمة ، بعضها فوق بعض .

(٢) وقرأ : بكسر الواو وسكون القاف : أي حملاً ثقيلاً .

اتتهى الموقف البطولي الذي وقفته هذه الصحابة العظيمة ؟
كلا فقد كانت لبطولتها في هذا اليوم ، تنمة رائعة ، حينما
عزم الرسول صلى الله عليه وسلم على اللحاق بقريش
ليصدهم ، فيما لو حاولوا مداهمة المدينة .. وقد خرج
عليه الصلاة والسلام ، بعد أن أذّن مؤذنه ، أن لا يخرج
معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس .. ثم خرج ، وكثير
ممن معه من الصحابة مصاب بجراح أحد ، وبعضهم تعددت
اصاباته ، حتى انتهى عليه الصلاة والسلام الى موضع
يسمى « حمراء الأسد » ، وهو على بعد ثمانية أميال
من المدينة لمن قصد مكة ، فمكث به ثلاثة أيام يرقب عودة
قريش ، ولكنها كانت قد والت المسير الى مكة ، فعاد
صلى الله عليه وسلم مع جيشه الى المدينة ..

ترى ماهو موقف أم عُمارة من غزوة حمراء الأسد ،
ألم يشملها النداء ؟ أليست ممن حضر أحداً ؟ بل أليست
ممن اشترك في القتال يومه ، وهذه أوسمة الشرف تشيع
في جسمها ، وأعظم أوسمتها هذا الذي على عاتقها ؟

إذاً فعلى هذا الضمير الحي اليقظ الذي تضمه أم
عُمارة ، أن يدفعها الى الخروج مع رسول الله صلى الله

عليه وسلم الى حمراء الأسد كرة أخرى ..
هاهي تشد عليها ثيابها ، وهاهي تتمالك نفسها ،
وتحاول أن تضمد من جراحها ، ولكن ما الحيلة في بعض
هذه الجراح ، الذي أبى إلا أن ينزف ..
لقد أمضى أهلها ليلتهم يكمدون هذه الجراح ،
ولكنها ظلت تنزف .. ومع ذلك فقد تحاملت أم عمارة
على نفسها .. بيد أنها لم تستطع .. كانت آلامها فوق
الطاقة .. !

ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة .. !
في أذنيها صوت الرسول العظيم .. انها تقاوم آلامها
ولكنها لا تستطيع .. وهذا الجرح الغائر على عاتقها ..
جرح ابن قمئة .. أليس أبعدها غوراً .. ؟
لتبق إذاً أم عمارة في دارها .. وكفاها فخراً هذه
الشهادة العظيمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« ما التفت يوم أحد يميناً ولا شمالاً ، إلا وأراها تقاتل
دونى » !! •

ولم يكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجع من

يوم « حمراء الأسد » حتى أرسل إليها شقيقها عبد الله
ابن كعب المازني ، ليطمئنه على حالها ، اهتماماً منه
صلى الله عليه وسلم بأمرها ، وقد فعل عبد الله ، ورجع
إلى النبي يخبره بسلامتها ، فسر بذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم !!

الفصل الثالث

أفرد الواقدي في كتابه (المغازي) فصلاً طويلاً عن (غزوة خيبر) تحدث فيه عن هذه الغزوة حديثاً مسهباً .. استوقفني فيه عدة أخبار وقصص .. ولكن مما استلفت نظري بصفة خاصة ، أخباره عن أم عمار ، فقد أورد عنها بعض الأخبار ..

خرجت أم عمارة إلى خيبر مع عدد من النسوة الصحابيات ، فقد ذكر الواقدي نفسه في ذلك الفصل ص ٦٨٥ ، أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون امرأة ، أم سلمة زوجته ، وصفية بنت عبد المطلب ، وأم أيمن ، وسلمى امرأة أبي رافع مولاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وامرأة عاصم بن عدي ولدت سهلة بنت عاصم بخيبر ، وأم عمارة ثسيبة بنت كعب ، وأم قنوع ، وهي أم شباث ، وكعبية بنت سعد الأسلمية ، وأم متاع الأسلمية ، وأم سليم بنت ملحان ، وأم الضحاك بنت مسعود الحارثية ، وهند بنت عمرو بن حزام ، وأم العلاء الأنصارية ، وأم عامر الأشهلية ، وأم عطية الأنصارية ، وأم سليط

وهكذا نرى بين هؤلاء النسوة صحابيات مشهورات منهن أم عمارة

وقد حدثت أم عمارة عن غزوة خيبر بأكثر من حديث ، في فصل غزوة خيبر من

كتاب المغازي ..

قال الواقدي : « حدثني ابن أبي سبرة ،
عن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي
صعصعة ، عن الحارث بن عبد الله بن
كعب ، عن أم عمارة قالت : « لبحنا
بخيبر ، لبني مازن بن النجار فرسين ، فكنا
نأكل منهما قبل أن يفتح حصن الصعب بن
معاذ » اهـ .

وبدل هذا الحديث ، على أن التموين
الغذائي ، كان يشكل أزمة بالنسبة لجيش
المسلمين الذي كان يحاصر حصون خيبر .
ولكن هذه الأزمة انفرجت بعد استيلاء
المسلمين على حصن الصعب بن معاذ ،
وهو الحصن الذي كان يختزن فيه اليهود
طعامهم .. وتحدثنا أم عمارة ذاتها
ص ٦٦٥ عن هذا الطعام المخزون وكثرته :

« حدثني ابن أبي سبرة ، عن
عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة
عن الحارث بن عبد الله بن كعب ، عن أم
عمارعة قالت : لقد وجدنا في حصن الصعب

ابن معاذ من الطعام ما كنت أظن أنه لا يكون
 في خيبر ، جعل المسلمون يأكلون مقامهم
 شهراً وأكثر من ذلك الحصن فمعلقون
 دوابهم ، ما يمنع أحدهم ، ولم يكن فيه
 خمس ، وأخرج من البذور شيء كثير يباع
 في المقسم ، ووجد فيه خرز من خرز
 اليهود ، فقول لها : فمن الذي يشتري ذلك
 في المقسم ؟ قالت المسلمون واليهود الثنين
 كانوا في الكتيبة فأمنوا ومن حضر من
 الأعراب ، فكل هؤلاء يشتري . فأما من
 يشتري من المسلمين فإنما يحاسب به مما
 يصيبه من المقم « اهـ .

إذن فقد وجد في حصن الصعب ، خرز
 أيضاً مما تتخذه يهود في الحلبي .. وهذا أمر
 تهتم به النساء .. فهل كان لأم عمارة
 نصيب من هذا الخرز ؟

يقول الواقدي ص ٦٨٨ : حدثني يعقوب
 ابن محمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن

أبي صعصعة ، عن الحارث بن عبد الله بن
كعب قال : « رأيت في رقية أم عمارة خزناً
حزراً فسألتها عن الخرز ، فقالت : أخصب
المسلمون خزناً في حصن الصعب بن
معاذ ، دفن في الأرض ، فأتني به إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر به
بمن معه من النساء فأحصين ، فكانا عشرين
امراً ، فقسم ذلك الخرز بيننا ، هذا وأرضع
لنا من الفراء ، قطيفة وبرداً وسانياً
وبنارين ، وكذلك أعطى صواحيبي ، قلت :

فكم كانت مهبان الرجال " قالت : ابتاع
زوجي غزية بن عمرو متاعاً باحد عشر
ديناراً .. » اهـ

إنن فقد حصلت أم عمارة على خرزات
 حمر ، اتخذت منها عقدا في رقبتها
 ويبدو أنها لم تزد على ثلاث خرزات لكز
 واحدة من النسوة العشرين فقد روى
 الواقدي نفسه (ص ٦٨٦) حديث أم العلاء
 الأنصارية : « حدثني ابن أبي سبرة . عن
 اسحق بن عبد الله ، عن عمر بن الحكم .
 عن أم العلاء الأنصارية قالت : فأصابني
 ثلاث خرزات ، وكذلك أصاب صواحبني ،
 وأتى يومئذ برعاث من ذهب . فقال : هذا
 لبنات أخي سعد بن زرارة ، فقدم بها عليهن
 رأيت ذلك الرعاث عليهن . وذلك من
 خمسة يوم خيبر » اهـ .

أقول الرعاث : الأقراط : الخرص .

لكن .. لم خرج النساء إلى خيبر ؟..

هذه واحدة منهن تتحدث عن سبب
 خروجها ، مما رواه الواقدي نفسه

ص ٦٨٦ : « حدثني عبد الله بن أبي يحيى ، عن ثببته بنت حنظلة الأسلمية عن أمها أم منان قالت : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج جنته فقلت : يا رسول الله أخرج معك في وجهك هذا ، أخرج المسقاء ، وأداوي المرضى والجريح إن كانت جراح . ولا يكون . وانظر الرجل .. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اخرجني على بركة الله فإن لك صواحب قد كلمتني وأذنت لهن من قومك ومن غيرهم ، فإن شئت فمع قومك وإن شئت فمعنا . عامة : معك ، قال : فكوني مع أم سلمة زوجتي ، قالت : فكنت معها ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغدو من الرجيع كل يوم عليه الدرع ، فإذا أمسى رجع إلينا ، فمكث على ذلك سبعة أيام حتى فتح الله (النطااة) ، فلما فتحها تحول إلى

الشيء ، وحولنا إلى (المنزلة) . فلما فتح
 خبير رضع لنا من الفيء ، فأعطاني خرزا
 وأوضاحاً من فضة أصيبت في
 المغنم وأعطاني قطيفة فديكة . وبردأ
 يمانياً ، وخمانل ، رقدراً من صفر ، وكان
 رجال من أصحابه قد جرحوا فكنت أداويهم
 بدواء كان عند أهلي فيبرأون . فرجعت مع
 أم سلمة ، فقالت لي حين أردنا ندخل
 (المدينة) ، وكنت على بعير من إبل النبي
 صلى الله عليه وسلم منحه لي ، فقالت :
 بعيرك الذي تحتك لك رقبته أعطاكه
 رسول الله . قالت : فحمدت الله وقدمت
 بالبعير فبعته بسبعة دنانير . قالت : فجعل
 الله في وجهي ذلك خيراً . اهـ .

ونرى من حديث أم سنان هذا أنها كانت
 إحدى ممرضات الجيش . وأن هناك نسوة
 أخريات تحدثن إلى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بما تحدثت به . واستأذن بمثل
 ما استأذنت ولا شك أن أم عمارة . وقد

عرفت بعنايتها بالجرحى . قد خرجت لمثل
هذا الغرض . وقد صحبت زوجها غزية كما
مر من حديثها

وقد روى الواقدي أيضا ص ٦٨٥ حديث
أمية الغفارية التي خرجت مع نسوة أخريات
بقصد التمريض :

« حدثني ابن أبي سبرة ، عن سليمان بن
سحيم ، عن أم علي بنت الحكم ، عن أمية
بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية ، قالت :
جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في
نسوة من بني غفار ، فقلنا إنا نريد
بإرسال الله أن نخرج معك في وجهك هذا
فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما
استطعنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم على بركة الله ... إلخ » .

أما الحارث بن عبد الله بن كعب الذي
يروى عن أم عمارة ، فهو ابن أخيها
عبد الله .

الفصل الرابع

وتوالت الأيام ، وتتالت الأحداث .. ولم تترك أم
عمارة الجهاد ، وشهود المواقف لقد أصبح الجهاد في دمها .
اشتركت في الحديبية ، وخيبر ، وعمرة القضية ،
وحنين .. وبيعة الرضوان ، وكان لها في حرب اليمامة على
عهد أبي بكر رضي الله عنه موقف مشهود ..
بيد أن هناك في يوم اليمامة دوافع جديدة ، تضافرت
مع دوافع البطولة العتيدة عند المرأة الباسلة ..
لقد خرجت أم عمارة الى يوم اليمامة يحفزها حافز
الانتقام لابنها الذي ثكلته هناك ..

انه حبيبها « حبيب بن زيد بن عاصم » أحد ابنيها
من زيد بن عاصم ، وهما اللذان اشتركا معها يوم أحد ..
لقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم حبيب بن
زيد الى مسيلمة الكذاب باليمامة .. مجرد رسول يؤدي
رسالة ويعود برسالة .. ولكن مسيلمة غدر بهذا الرسول ،
فقيّده ، ثم أخذ يعذبه عذاباً تخور له عزائم الصناديد ..
ولكن البطولة والجلد كانا يسيان في دماء حبيب ..

اتخذ أخذ مسيلمة يقطع حبيب بن زيد أرباً أرباً ، كلما
قطع منه جزءاً سأله : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال :
نعم .. قال : أتشهد انني رسول الله .. قال : كلا ..
فيأخذ في تقطيعه من جديد .. حتى استشهد شهادة قلما
يكون لها مثل !!

ويبلغ الخبر المفجع مسامع المرأة الباسلة ، فتحتسب
ابنها لله ، ويبرز جانب جديد من جوانب المرأة العظيمة ،
هو جانب الصبر والاحتساب ، مع تصميم وإصرار على
الانتقام ، لقد آلت أن لا تغتسل حتى تنتقم لابنها الشهيد ..

وتسرع الأيام لتتيح لها فرصة الانتقام ، ألم تواتها
الفرصة بالأمس يوم أحد ، حينما ضرب رجل من جيش
الأعداء ابنها عبد الله فجرحه .. وسرعان ما وقع الرجل
بين يديها فأخذت تضربه حتى أوردته شعوب (المنية)
وعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرعان ما انتقمت
.. وابتسم رضا بهذا الانتقام السريع ..

فلتنتقم أم عمارة اذاً لابنها الذي شكلته ثكلاً فريداً ،
وهكذا آلت على نفسها أن تقتل مسيلمة أو تستشهد !

ويذكر أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جيشاً الى اليمامة ، لحرب مسيلمة الكذاب ، الذي ادعى النبوة •• ويولي على الجيش خالد بن الوليد •• ولم تكذب تسمع أم عمارة بالخبر السار ، حتى تبادر الى أبي بكر تستأذنه في الخروج الى اليمامة لتشتبك في حرب مسيلمة •• ألم تأل أن تحاربه وأن تنتقم لحبيب ••؟ ويدرك أبو بكر رضي الله عنه ، عظم مصابها في ابنها ، ويقدر أحاسيس الأم الثكلى •• ويعرف لأم عمارة جهادها ، وموقفها من السابقين من مسلمي الأنصار وموقفها العظيم يوم أحد ، فيسمح لها بالخروج ، ويوصي بها خالد بن الوليد رضي الله عنه خيراً •

وتخرج أم عمارة ، رضي الله عنها ، مع جيش خالد •• محتملة هذا السفر الطويل من المدينة الى اليمامة •

ويخرج معها ابنها عبد الله بن زيد شقيق حبيب •• وتحتدم المعركة بين جيش المسلمين وبين جيش مسيلمة •• ويزداد ضغط المسلمين ، فيلتجأ مسيلمة وجيشه الى بستان مسورٍ يعتصمون به ويحكمون رتاج بابه •• ويحاصر المسلمون البستان •• ثم يقفز منهم بطل الى

داخله .. فيحترب مع رجال مسيلمة تنوشه السيوف وهو يحاول فتح الباب ، حتى حقق هدفه ! فيندفع سيل المسلمين من الباب ، ويقفز منهم من يقفز فوق الأسوار •
— أين مسيلمة ؟

كان هناك عدة أشخاص يسألون عن مكان مسيلمة وهم في شوق الى اهراق (١) دمه •

كان هناك « وحشي » قاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فهو اليوم في صفوف المسلمين ويريد أن يقتل شر الناس ، كما قتل بالأمس خير الناس .. (حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه) •

وكان هناك عبد الله بن زيد .. شقيق حبيب .. وكانت هناك أم عمارة .. أمه ..
أم عمارة ؟

وأين هي أم عمارة .. ؟

لقد كانت هناك تقاتل قتال المستميت .. ، وكانت تكثر عليها الجراح .. ولكنها لم تَعْباً .. لقد اعتادت مناظر هذه الأوسمة على صدرها وعلى عاتقها .. !

(١) أهرق : صب .

ولكن أين مسيلمة ؟

وصل « وحشي » الى مسيلمة ، فضربه بحرثته ••
ووصل عبد الله بن زيد إليه ، فضربه بسيفه ، ومضت تنوشه
سيوف من هنا وهناك ، فقضت عليه •

وهكذا حقق « وحشي » هدفه ، فقتل شر الناس ••
وهكذا حقق عبد الله بن زيد رضي الله عنه هدفه ،
فاتنقم لشقيقه حبيب رضي الله عنه ••

وأحست أم عمارة أن شيئاً كان يغلي في دماؤها قد
هدأ ، وان حملاً ثقيلاً كان يؤودها^(١) قد انحط •

أدركت أم عمارة ، ان جراحها كانت تدمى •• بل لقد
فقدت أم عمارة احدى يديها •• فقد ذهبت في المعركة !!
ويلغ الخبر المزعج أسماع خالد قائد الحملة ، فيهتم
له أيما اهتمام ، ويرسل يلتمس في دور العرب في اليمامة
من يحسم جرحها بالزيت المغلي ، كما تفعل العرب في مثل
هذه الحال ، حتى يعثر الرسل على طبيب يداوي الجراح ،
فيغمر يدها بالزيت المغلي ، وكان ألم هذا الكي أشد وقعاً •
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) يؤودها : يثقلها ، يعظم عليها •

— ومن يطيق ما تطيقين يا أم عمارة !!

ويظل في مسمعها صوت الرسول العظيم يواسيها ..
» ومن يطيق .. ؟

وتؤوب أم عمارة الى المدينة ، فيحتفي بها أبو بكر
رضي الله عنه ، ويتفقد أحوالها ويواسيها ، ويعودها ..
وتكبر مكانة أم عمارة في القلوب ..
أية امرأة صالحة هذه .. ؟!

وتعيش أم عمارة ، ماشاء الله تعالى لها أن تعيش ..
حتى اذا جاءت الساعة الحاسمة بين الحياة والموت .. كان
الطريق أمامها ممهداً تحف به البشريات :

— يا رسول الله ادع الله أن نرافقك في الجنة ..
هذا ما قالته يوم أحد ..

— اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة .. !

وهذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ..
اذأ .. الى خير ما يطمع إليه قلب مؤمن .. الى رفقة
الرسول العظيم .. في الجنة !

٢

أَسْرَتُهَا وَسِيرَتُهَا

وبعد :

فهذه هي قصة أم عمارة ، بل هذه فصول من قصة بطولتها ، بقدر ما سمح لنا التاريخ من أخبارها ..

وقد آن لنا أن نعرف :-

من هي أم عمارة الأنصارية ؟

من أية قبيلتي الأنصار هي ؟

ومن أية دار من هذه القبيلة ؟

ومن هم أفراد أسرتها ؟

ان هناك أسئلة كثيرة كهذه تتوارد ، فلأحاول أن

أجيب عليها بقدر ما يتسع لذلك سبيل .. ومن الله تعالى
أستمد التوفيق •

مَنْ هِيَ أُمُّ عُمَارَةَ ؟

نسبها

هي نَسِيبَةُ بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول
ابن عمرو بن غنم من بني مازن بن النجار •
والنجار هو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج
ابن حارثة بن عمرو مزقياء •

فهي اذن مازنية ، نجارية ، خزرجية ، أنصارية •
كنيتها أم عُمَارَةَ ، وقد اشتهرت باسمها وكنيتها معاً ،
ولذلك تترجم لها بعض كتب تراجم الصحابة في موضعين
كما فعل كل من ابن حجر في « الإصابة في تمييز الصحابة »
وابن الأثير في « أسد الغابة » حينما ترجما لها في
الأسماء تحت اسم نسيبة ، وفي الكنى أيضاً تحت كنيته
« أم عُمَارَةَ » ••

وعُمَارَةُ ، بضم العين وتخفيف الميم ، كما في « شرح
المواهب اللدنية » •

و « نَسِيبَةُ » بفتح النون ، كما ضبطها صاحب
« الإصابة » « وأسَدُ الغابة » وصاحب « القاموس المحيط »
في مادة « نسب » ، وقال الزبيدي في « تاج العروس شرح

القاموس » أن نَسِيَّة بفتح النون فيها وفي « نسيبة بنت
سماك بن النعمان فقط » ♦♦

وبه ضبطها صاحب « المواهب اللدنية » ولكنه أورد
أيضاً قولاً آخر بالتصغير « نَسِيبة » وهذه عبارته :
« نَسِيبة ، بفتح النون ، وكسر السين المهملة ، فموحدة
مفتوحة ، فهاء ، كما ضبطها في الاكمال والتبصير ، والاصابة
والنور ، وغيرهم ، وقول الشامي بالتصغير على المشهور ،
وعن ابن معين ، والفريابي ككريمة وهم ، انما هذا في
نسيبة أم عطية كما في فتح الباري في الجنائز ، فنقله في
أم عمارة غلط^(١) » اهـ ♦

(بنو النجار)

وهي من بني النجار

وبنو النجار هم أخوال عبد المطلب بن هاشم ، جد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان أم عبد المطلب وأم
شقيقته رقية ، كما يحدثنا ابن هشام في « السيرة النبوية » ،
هي سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خدّاش بن عامر
ابن غنم بن عدي بن النجار ♦

وأم سلمى هي عميرة بنت صخر بن الحارث بن ثعلبة

(١) المواهب اللدنية : باب غزوة أحد .

ابن مازن بن النجار ••

وكما هو معروف في كتب السيرة فإن عبد الله ، والد
الرسول الكريم ، قد توفي يثرب عند أخوال أبيه ••
وهكذا ندرك صلة الرحم بين أسرة محمد عليه الصلاة
والسلام ، وبين بني النجار •

ولقد كان لبني النجار مواقف كريمة في نصرة الرسول
عليه الصلاة والسلام ، ونصرة دعوته ، فقد كان منهم
شخصان من ستة نفر الذين كانوا الدفعة الأولى من الأنصار
الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة ،
وهما : أسعد بن زرارة من بني مالك بن النجار ، وعوف
ابن الحارث من بني مالك بن النجار أيضاً ، وهو ابن عفراء
فهما ثلث هذه الدفعة •

وفي الموسم القابل كان عدد الأنصار الذين بايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم اثني عشر رجلاً ، كان من
بني النجار منهم ثلاثة رجال ، أي الربع ، وهم أسعد ،
وعوف اللذان سبق ذكرهما ، وانضم إليهما شقيق عوف
وهو معاذ ، وهو ابن عفراء أيضاً •

وفي الموسم الثالث كان عدد الأنصار الذين بايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بيعة العقبة الكبرى ثلاثة

وسبعين رجلاً ومعهم امرأتان ، وهما نَسِيبة بنت كعب أم
عُثمارة ، المترجم لها ، وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدي
ابن نابي من بني سلمة ، وكان بينهم من بني النجار أحد
عشر رجلاً وامرأة ، أي بما يقرب من نسبة السدس ، وكان
منهم أبو أمامة أسعد بن زرارة بن عُدَي بن عبيد بن ثعلبة
ابن غَنَم بن مالك بن النجار • وهو فيما يذهب اليه
بنو النجار ، انه أول من بايع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، أما بنو عبد الأشهل فيقولون انه أبو الهيثم بن
التيهان ، وهو حليفهم ، وهو في شعر كعب بن مالك أحد
النقباء الاثني عشر الذين انتخبهم الأنصار يوم العقبة
الكبرى للاتفاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
البيعة ، وقد ذهب كعب بن مالك ، وهو من بني سلمة ،
في روايته التي أوردها ابن هشام في السيرة الى أن البراء
ابن معرور السلمي كان أول من بايع •

وكفى بني النجار فخراً ما جاء في صحيح البخاري
في باب « فضل دور الأنصار » قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « خير دور الأنصار بنو النجار ، ثم بنو
عبد الأشهل ، ثم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم بنو ساعدة ،
وفي كل دور الأنصار خير » •

وقد نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قدم المدينة مهاجراً ، في بني النجار خاصة • قال ابن حجر في « فتح الباري بشرح صحيح البخاري » في الجزء الثامن ط ١٩٥٩م ص ١١٦ في شرح « باب فضل دور الأنصار » : « وبنو النجار هم أخوال جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن والدته عبد المطلب منهم ، وعليهم نزل لما قدم المدينة ، فلهم مزية على غيرهم » •

الخزرج

وبنو النجار بيت من الخزرج ، واسم الخزرج أظهر في بيعات العقبة ، فقد كان نفر الستة الذين أسلموا عند العقبة أول الأمر كلهم من الخزرج • وكان عددهم في الموسم التالي في بيعة العقبة عشرة رجال من اثني عشر • أما في البيعة الكبرى ، فقد شهدا منها أربعة وستون شخصاً ، وشهدا من الأوس أحد عشر •

الأنصار

على أنه يكفي « أم عثمارة » فخراً أن تكون أنصارية ، من الذين وصفهم الله عز وجل ، بقوله تعالى في سورة « الحشر » الآية التاسعة :

« والذين تبوءوا^(١) الدار والإيمان من قبلهم يحبثون من هاجر إليهم ، ولا يجدون في صدورهم حاجة^(٢) مما أوتوا ، ويؤثرون^(٣) على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة^(٤) ومن يوق^(٥) شح^(٦) نفسه فأولئك هم المفلحون » .

وفي صحيح البخاري ، ان الله عز وجل هو الذي سماهم الأنصار ، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم :

« لو سلكتِ الأنصار وادياً أو شِعْباً لسلكتُ وادي الأنصار وشِعْبهم » وقوله :

« لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار » .

وفيه : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله » .

وفيه قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار :

« أتم أحب الناس إليَّ »

هؤلاء هم معشر أم عُمارة ، ومنزل قومها من هذا المعشر ، ومنزلة بيتها من قومها .. فهي في كل على صدارة .

(١) بؤاً له مكاناً أي سوى له مكاناً ، أي تمكنوا من ديارهم وإيمانهم .

(٢) أي لا يحسدون المهاجرين على ما أوتوا .

(٣) الأيثار : تقديم الغير على النفس .

(٤) الخصاصة : الفقر .

(٥) يوق : من الوقاية ، أي يتوقى .

(٦) الشح : البخل .

مولدها

ولدت أم عُمارة في يثرب ، أكبر الظن ، في بلدها
وبين قومها •• وان كانت المصادر القديمة لم تحدد مكان
مولدها ، كما لم تحدد زمانه •

بيد أنه يمكن تقريب زمن مولدها بالتخمين لا بالتحديد
•• فقد كان لأم عمارة ولدان بالغان في معركة أحد ، هما
عبد الله بن زيد ، وحبيب بن زيد رضي الله عنهما ، فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم رد عن المعركة من لم يصل
سن البلوغ من صبيان المسلمين ، كما يبدو أن ابنيها لم
يكونا على أشدهما تماماً ، فان وصف قتال عبد الله بن زيد
وهو في أغلب الظن ، أكبر الابنين ، يدل على أنه كان
يستعمل الحجارة في قتاله ، فهو اذن لا سلاح له ، ولو
كان من كبار المقاتلة لجاء بسلاحه ، فاذا افترضنا انه كان
دون العشرين ، وان أمّه أنجبته ، وهي حوالي العشرين
أو دونها ، لكانت حين وقوع معركة أحد دون الأربعين
من العمر أو حولها ، ومعركة أحد انما كانت في السنة
الثالثة ، ومن هذا يسعنا أن نستنتج أن مولد أم عمارة
كان على أي حال قبل سنة ٣٥ قبل الهجرة ••

أسرتها

لم يحدثنا التاريخ عن والدها ، سوى أنه كعب بن عمرو ، الخ ما ورد في نسبها ..

أما والدتها فهي الرباب بنت عبد الله بن حبيب بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن غضب ابن جشم بن الخزرج ، ولم أجد لها اسماً بين أسماء الصحابيات في مادة (الرباب) في كل من « الاصابة » و « أسد الغابة » ، وان كان الاستاذ « خيرالدين الزركلي » قد ذكر في كتابه « الاعلام » في مادة (نسيبة بنت كعب) ان نسيبة رويت يوم أحد تقاتل أشد القتال ، وأمها معها تعصب جراحها ، وبذلك تكون أمها صحابية ♦

وهي أخت شقيقة لكل من « عبد الله بن كعب » شهد بدرأ ، وأبي ليلى « عبد الرحمن بن كعب » أحد البكائين^(١) وهما صحابيَّان ♦

(١) البكائون : نفر من الأنصار لم يجدوا رواحل للاشتراك في غزوة تبوك فانصرفوا بكون حزنًا .

وقد كان شقيقها عبد الله بن كعب ، على ثقل غنائم بدر ،
 أي أنه كان عدا كونه بدرياً ، مؤتمناً على الغنائم •
 وقد ورد في القسم الأول من هذه الرسالة أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بعد عودته من غزوة «حمراء الأسد»
 أرسل عبد الله (أخاها) يسأل عنها فرجع إليه يخبره
 بسلامتها ، فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم •
 أما شقيقها الآخر أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب
 رضي الله عنه ، فهو كما مرَّ صحابي أيضاً ، ترجم له صاحب
 الإصابة ، وقال انه مات في آخر زمن عمر ، وانه شهد أحداً
 والخندق وما بعدها ، وانه أحد البكائين الذين نزل فيهم
 قوله تعالى (تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا) الآية •
 وكان الرسول صلى الله عليه وسلم استعمله على قطع نخل
 بني النضير ، وكانت وفاته سنة ٢٣ هـ •

حياتها الزوجية

تزوجت أم عُمارة في الجاهلية من ابن عمها القريب
 زيد بن عاصم بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن
 غنم بن مازن بن النجار ، الخزرجي النجاري الأنصاري •

قال صاحب « الاصابة » انه شهد العقبة وبدراً ،
ويقال ان كنيته أبو الحسن ، وفي « أسد الغابة » أبو حسن ،
وقد أنجبت أم عمارة من زيد بن عاصم ، ابنين هما عبد الله
ابن زيد وشقيقه حبيب ، وقد ورد فيما أسلفت من قصتها
ذكر هذين البطلين •

وتشير بعض المصادر أن أم عمارة شهدت العقبة
مع زوجها زيد ، أو انها شهدت أحداً معه •• ولكني أرجح
أنها شهدت الموقفين مع زوجها غزيرة بن عمرو ، لأمر :
الأول - ان ابن هشام لم يورد اسم زيد ضمن من
شهد العقبة ، بينما أورد عن ابن اسحق اسم عمرو بن غزية
وصوّبه بأنه غزيرة بن عمرو ، وهو الزوج الذي خلف زيد
ابن عاصم •

الثاني - ما جاء في « سيرة ابن هشام » ، وفي
« الاصابة » في مادة « أم عمارة » من أن أم عمارة روت ،
عن مشاهدتها ليلة العقبة فقالت : إن الرجال كانت تصفق
على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والعباس أخذ
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بقيت أنا وأم
منيع ، نادى زوجي غزيرة بن عمرو : يا رسول الله هاتان
امرأتان حضرتا معنا ببايعانك ، فقال : قد بايعتهما على

ما بايعتكم عليه ، اني لا أصافح النساء • » وبهذا تكون
أم عمارة نفسها صرحت ان زوجها يومذاك كان غزيرة
ابن عمرو •

الثالث : ان ابن سعد قال في الطبقات : قال محمد
ابن عمر : شهدت أم عمارة بنت كعب أحداً مع زوجها غزية
الرابع : في الطبقات أيضاً ، ما روي عن عبد الله بن
زيد ابن أم عمارة من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له في الحديث الذي سبق ايراده بتمامه في قصة بطولة
أم عُمارة (ومقام ريبيك خير من مقام فلان وفلان) وفسّر
ابن سعد كلمة ريبيك بأنه زوج أمه ، وهو فيما أرجح غزية •
واذا انتهى أن يكون زيد بن عاصم قد اشترك في
العقبة الكبرى ، ويوم بدر ، فاننا تتساءل هل فارق زيد
ابن عاصم أم عمارة فتزوجها بعده غزية ؟ أو انه مات عنها ؟
ان الأستاذ الزركلي في الاعلام يقول :

« تزوجها في الجاهلية زيد بن عاصم المازني ، ومات
عنها ، فتزوجها غزية بن عمرو المازني ، ولما ظهر الاسلام
أسلمت •• الخ » •

وترتيب هذا النص يدل على أن زيد بن عاصم توفي
قبل أن تسلم أم عمارة ••

ويقوي هذا ما سبق في رواية عبد الله بن زيد ، من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخاطبه ، « ومقام ربيبك » ، وإن ابن سعد فسر ربيبه بمعنى زوج أمه .. وفي هذه الكلمة أيضاً معنى أنه كان حينئذ يريه ، وهذا يدل على احتضانه ، وعلى احتمال أن عبد الله نشأ يتيماً عدا عن أنه يقوي أيضاً أن عبد الله كان يوم أحد رغم بلوغه سن الرشد لا يزال فتى صغير السن ..

وكل هذا يجعل صحبة زيد بن عاصم محل نظر ، إلا أن يكون قد أسلم في الفترة ما بين انتقال الاسلام الى المدينة في دور الأنصار ، وما بين بيعة العقبة الكبرى ، التي حضرها غزية بن عمرو زوجاً لأم عمارة .

أما ما روي من أنه شهد بدرًا ، فإن ابن سعد لم يورد اسمه فيمن شهد بدرًا من الأنصار ، بل لم يورده أيضاً فيمن أسلم ولم يشهدها ..

أما ما قيل من أنه شهد أحداً ، فإن النص على ذلك يقترب بأم عمارة ، فيقال انها شهدت أحداً مع زوجها زيد بن عاصم ، وابنها عبد الله وحبيب ابني زيد .. فإذا كان الراجح أن زوجها يومذاك لم يكن زيد بن عاصم ، فقد ضعف هذا النص ، وهذا ما أخذ به المقرئ في « أمتاع

الأسماع » إذ قال في ترجمتها انها كانت يوم أحد بين يدي رسول الله هي وابناها عبد الله وحبيب ابنا زيد بن عاصم وزوجها غزيرة بن عمرو يذبون عنه •

أما زوجها بعد زيد فقد كان غزيرة بن عمرو وهو غزيرة بن عمرو بن عطية بن خنساء بن مبدول ابن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار الأنصاري الخزرجي • فهو كما يتضح من هذا النسب من بني عمومة أم عمارة أيضاً ، يجتمع نسبهما في جدهما مبدول بن عمرو • وغزيرة بفتح الغين وكسر الزاي المخففة كغنية ، بذلك ضبطه « تاج العروس في شرح القاموس » •• وقد أورد ابن اسحق اسم غزية بن عمرو في السيرة مغلوطاً عندما سرد أسماء المبايعين في العقبة الكبرى •• فجعله عمرو بن غزية ، فاستدرك عليه ابن هشام وصححه ، وهو في بعض طبعات الاصابة مصحف كأن يرد بالعين أو بالراء •• وهو في « الاعلام » للزركلي في ترجمة أم عمارة « غزية بن عمر » بدون واو عمرو ، وهو في الغالب تطبيع •

وكما مر ، فان غزية كان ممن شهد العقبة الكبرى ، وتولى تقديم زوجته أم عمارة الى رسول الله ، فبايعته دونما مصافحة ، كما روت هي رضي الله عنها ذلك •

وقد شهد غزيرة أحداً ••

ويذكر ابن سعد في ترجمة « أم عمارة » ، أنها تزوجت ثلاثة ، فذكر غزيرة ، وزيد بن عاصم ، ثم قال « والثالث نسيبة ومات ولده ولم يعقب » •

وفي هذه العبارة غموض فإن نسيبة هو اسم أم عمارة نفسها ، فهل هناك نقص أو تحريف ؟ وهل تكون العبارة في الأصل هكذا : « والثالث أبو عمارة بن نسيبة ومات عنها ولم يعقب » • ربما •• فلا يسعنا الجزم •

« أولادها »

أما أولادها فهم : عبد الله ، وحبيب ، وهذان من زوجها « زيد بن عاصم » •

وتميم وخولة ، وهما من غزيرة بن عمرو
أما عبد الله : فقد سبق ذكر جهاده يوم أحد •
وقد قيل انه شهد بدرًا^(١) •

واشتهر بأنه راوي حديث صفة الوضوء ، يروي عنه ابن أخيه عباد بن تميم ، ويحيى بن عمارة وآخرون ، وأورد له البخاري أحاديث منها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في الأنصار عقب عودته صلى الله عليه وسلم من حنين^(٢)

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : الصحيح أنه لم يشهد بدرًا •

(٢) صحيح البخاري : « باب غزوة الطائف » •

وهو غير عبد الله بن زيد بن عبد ربه صاحب الأذان .
وقد روى له الامام أحمد في مسنده طائفة من
الأحاديث منها حديث الوضوء ، والاستسقاء ، والروضة ،
وتحريم المدينة .

• قتل يوم الحرة سنة ٦٣ هـ (١) .

أما حبيب ، ابنها الآخر من زيد بن عاصم ، فقد مر
في قصة بطولة أم عمارة ، حديث بسالته وموقعه من مسيلمة
الكذاب ، كما مر أنه حضر يوم أحد .

وحبيب : بفتح الحاء المهملة (٢) ، وليس بالخاء كما
ورد تصحيفاً في بعض طبعات سيرة ابن هشام ، وقد تابعه
على ذلك بعض مؤلفي السيرة (٣) .

شهد حبيب رضي الله عنه العقبة الكبرى ، ومات
شهيداً في الإمامة على يدي مسيلمة (٤) .

• قال ابن حجر ، شهد أحداً والخندق والمشاهد (٥) .
• وتميم بن غزيرة ، أحد ولديها من زوجها غزية .
• وهو تميم ، بفتح التاء ، كما ضبطه شارح القاموس (٦) .

(١) الإصابة في ترجمته .

(٢) تاج العروس ، وقد أحصى كل من حمل اسم حبيب من الصحابة .

(٣) « حياة سيد العرب » لحسين باسلامة على سبيل المثال .

(٤) أسد الغابة في ترجمته . (٥) الإصابة في ترجمته .

(٦) « تاج العروس » مادة تم ، وقد أحصى أسماء ثمانية عشر صحابياً

حملوا هذا الاسم .

وقد ترجم له ابن الأثير الجزري في « أسد الغابة »
ولكنه جعله ابناً لزيد بن عاصم ، أي شقيقاً لعبد الله وحبيب
لا ابناً

لغزيرة بن عمرو ، بيد أنه أورد رواية أخرى قال فيها
انه تميم بن عبد بن عمرو . وكلمة عبد لعلها جاءت تصحيفاً
لغزيرة فيكون بذلك قد أورد الرواية التي أرجحها^(١) .

أما صاحب «الاصابة» ، فقال أيضاً انه تميم بن زيد
الأنصاري والد عبّاد وأخو عبد الله بن زيد بن عاصم المازني
في قول الأكثر ، ولكنه عاد فقال ، وقيل هو أخوه لأمه ،
وأما أبوه فهو غزيرة بن عبد عمرو، وانه بذلك جزم الدمياطي
تبعاً لابن سعد^(٢) .

ومهما يكن الأمر فان تميماً له صحبة ، كما جاء في
بعض الروايات وهو ابن أم عمارة .

على أن هناك نصوصاً تذكر بوضوح ان تميماً انما
هو ابن غزيرة بن عمرو فقد ذكر ذلك صاحب الاصابة
نفسه في ترجمته لأم عمارة « كتاب النساء - باب الكنى »
انها ولدت لغزيرة بن عمرو تميماً وخولة . وهذا ما قاله
ابن سعد في الطبقات في ترجمة أم عمارة ، جازماً به ،
وهو الصحيح .

(١) أسد الغابة . ترجمة « تميم بن زيد » .

(٢) الاصابة ترجمة « تميم بن زيد » .

وتميم أنجب عَبَّاداً ، وقد روى ابنه عنه الحديث ،
كما رواه عن عمه عبد الله بن زيد كما مرّ •

وعباد معدود في التابعين ، بل نقل عنه انه قال « أنا
يوم الخندق ابن خمس سنين فأذكر أشياء وأعيها ، وهذا
يقتضي أنه صحابي ^(١) •

أما رابعة أولاد أم عمارة فهي خولة •• وأبوها هو
غزيرة بن عمرو •

هؤلاء هم أولادها كما جاء في ترجمتها في المصادر
التي توفرت لدي •• ولكن مما يدعو الى التساؤل ، هذه
الكنية « أم عمارة » من أين أتت وما مصدرها ؟ فان تلك
المصادر لم تحدثنا عن عُمارة هذا ، بينما نجد ابن سعد
يحدثنا عن محمد بن عمرو ، عن عبد الجبار بن عمارة ، عن
عُمارة بن غزيرة قال : قالت أم عمارة •• ثم يروي حديثها
عن موقعها يوم أحد ، كما سلف أن أوردته في القسم الأول
من هذه الرسالة ، فهل يكون عُمارة هذا هو ابنها الذي
تكنى به من زوجها غزيرة بن عمرو •

من العجيب ان المصادر القديمة التي بين يدي لا تذكر
ذلك صراحة ، ولا تشير الى عُمارة من قريب أو بعيد ،

(١) تهذيب الاسماء واللغات للنووي ، مادة عباد .

والمصدر الوحيد ، فيما وقفت عليه ، الذي يصرح باسم
عمارة هو « تحفة ذوي الأرب في مشكل الأسماء والنسب »
لأبن خطيب الدهشة ، المتوفي سنة ٨٤٤ هـ اذ يقول في
ترجمتها : « ... روى عنها ابنها عمارة ، والحارث بن
عبد الله بن كعب ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن أبي
صعصة ، وعكرمة مولى ابن عباس (١) » .

وقد توفر لدينا الآن نصّان : نص ابن سعد أو النص
المحتمل عنه ، من أن لها زوجاً ثالثاً هو أبو عمارة ، وأنه
مات عنها ، ولهم يعقب « فقد أفادنا هذا انه هو أبو عمارة ،
وأنه أيضا لم يعقب ، أي ان عمارة ابنه قد توفي . وهذا
أقرب الى المعقول ، لعدم ورود ذكر « عمارة » في المناسبات
التي ذكر فيها أبناء أم عمارة كموقف أحد .

أما النص الآخر فهو ما يفيد ابن خطيب الدهشة من
أنه روى عنها ابنها عمارة . . فيكون هناك ابن آخر يحمل
نفس الاسم ، عاش فروى عنها ، أما أبوه فهو غزية ، ولعله
ولد في عهد متأخر وقد أحييت فيه أم عمارة اسم ولدها
الأول .

(١) ص ١٢١ ط ليدن ١٩٠٥م ، وابن خطيب الدهشة هو محمود بن أحمد
ابن محمد .

وسواء أكان أبو عمارة ، هو زوجها المجهول لدينا اسمه ، أو هو زيد بن عاصم ، أو هو غزية ، فإن ذلك كله يدلنا على أن أم عمارة كان لها ابن يحمل هذا الاسم فعلاً .

وبينما تسكت معظم المصادر عن « عمارة » فلا تحدثنا عنه حديثاً مفصلاً واضحاً . . نجدها تحدثنا أن غزية بن عمرو ، زوج أم عمارة كان له ابن يدعى ضمرة بن غزية ، وأنه شهد أحداً مع أبيه ، وقتل يوم جسر أبي عبيدة شهيداً في قتال الفرس في خلافة عمر ، وأنه ابن أخى منقذ بن عمر والد حبان بن منقذ^(١) .

ولكن ترجمة ضمرة لا تدلنا على أمه . . ومن المستبعد أن تكون أم عمارة ، إذا كان قد شهد أحداً ، فهو إذاً في سن أبنائها على الأقل أو أكبر قليلاً ، فهو ابن غزية في أكبر الظن من امرأة أخرى^(٢) .

(١) أسد الغابة ترجمة ضمرة ، وقد ترجم لحبان بن منقذ فقال انه صحابي شهد أحداً .

(٢) وهناك أبناء آخرون لغزية وهم فيما يبدو من امرأة أخرى أو ربما من أكثر من زوجة .

سيرتها وصلاتها

وبعد ، فان شخصية أم عمارة ، شخصية ممتازة جمعت أطرافاً من الميزات والفضائل ، قلما تجتمع لامرأة .
مرّ بنا في قصتها انها ذات وجدان حي ، وان وجدانها هذا كان يحثها على أن تشهد المعارك ، لتسقي عطشى المجاهدين وتضمّد جراحهم ، فهي ممرضة متطوعة ، تدرك مهمتها سلفاً فتستعد لها بلفافات فتسعف الجرحى ، وتخفف من ويلاتهم ، وهي في ذلك تأتي في مقدمة رائدات التمريض في التاريخ الاسلامي ، واذا اقتضى الأمر تحولت الى محاربة مجاهدة .

وهي تملك روحاً متفانية ، وإيماناً عظيماً ، يدفعها لأن تقف في المعركة الى جوار الرسول تدافع عنه .
وهي ذات روح متطلعة الى الحقيقة ، تبعثها في الليل البهيم لتنطلق مع زوجها لتبلي دعوة الدين الصحيح .
وهي ذات تصميم يحثها على أن تنتقم من مسيلمة .
وهي ذات حس اجتماعي مرهف ، تفكر في بنات جنسها ، وتعنى بأمورهن ، وتسعى الى تحسين أوضاعهن .

هاهي تفكر فيما ينزل من القرآن الكريم ، فتراه
يوجه القول الى الرجال ، فتسأل : وما بال النساء ؟

وتجد الشجاعة الكافية — وما خذلتها شجاعتها قط —
فتذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم لتفضي إليه بهذا
الأمر الذي يقلقها .. أو يقلق حسها الاجتماعي المرهف ،
مدفوعة بحبها لبنات جنسها ، ورغبتها في الخير لهن ، ولئلا
يذهب الرجال وحدهم بالخير ، كل الخير .

وتقول أم عُمارة للرسول صلى الله عليه وسلم :
— ما أرى كل شيء إلا للرجال ، وما أرى النساء
يذكرن في شيء !؟

فتنزل الآية الكريمة (٣٥ من سورة الأحزاب) :
« إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَاتِلِينَ وَالْقَاتِلَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجراً عظيماً » .

وهكذا اطمأنت أم عُمارة بتقرير مبدأ المساواة في الأجر

- والمشوبة بين الرجل والمرأة ، من فوق سبع سموات •
وهكذا أضافت مجداً جديداً الى أمجادها (١) ••

وتتمتع « أم عمارة » بذاكرة جيدة ، جعلتها الى مكائنها الاجتماعية المرموقة ، تروي عدداً من الأحاديث ، فقد روى عنها ابن ابنها عبّاد بن تميم بن غزيرة ، والحارث ابن عبد الله بن كعب ، وعكرمة مولى ابن عباس ، ومولاتها ليلي ، وأم سعد بنت سعد بن الربيع ، ولها أحاديث في الترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه •

ومما روت ، ما ورد عن حبيب بن زيد ، عن مولاة لهم يقال لها ليلي عن جدته أم عمارة ، ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها ، فقدمت إليه طعاماً ، فقال : كلي • فقالت : اني صائمة • فقال : «ان الصائم اذا أكل عنده صلت عليه الملائكة» (٢) •

وأخرج أبو داود لها : ان النبي صلى الله عليه وسلم

(١) تروى هذه الحادثة أحياناً في بعض المصادر عن نسيبة أم عطية لا عن نسيبة أم عمارة •

(٢) الإصابة : ترجمة أم عمارة ، وفي ابن سعد نحوه • ويدل السياق هنا عن حبيب بن زيد أنه حفيدها وليس ابنها المعروف بهذا الاسم •

توضاً فأتى باناء فيه قدر ثلثي المد •• الحديث (١) .

وأخرج ابن منده : أنها قالت : أنا أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينحر بدنة قياماً بالحربة ••
وقد وصفها صاحب « حلية الأولياء » في مقدمة ترجمته لها ، فقال : « كانت ذات جد واجتهاد وصوم ، ونسك ، واعتماد » .

وفاتها :

لا يعرف بالضبط تاريخ وفاتها ، وقد اختار صاحب « الاعلام » سنة ١٣ هـ (٦٣٤م) ، وتدل ترجمة حياتها انها عاشت الى عهد عمر بن الخطاب ، ويدل على ذلك ما رواه السهيلي في « الروض الأثف » من انها عاشت بعد اليمامة دهرأ ، كما يدل عليه ، ما روى ابن سعد في ترجمتها

(١) الإصابة ترجمة أم عمارة ، وقد أورد مسند الامام أحمد عددا من أحاديثها في موضعين .

من أن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، أُمّتي بمروط فكان فيها مِرْط^(١) واسع جيد ثمين ، فاقتراح بعض الجلوس أن يعطيه لصفية بنت أبي عبيد ، عروس ابنه عبد الله بن عمر ، ولكن عمر قال : أبعث به الى من هو أحق به منها أم عمارة نَسِيبَة بنت كعب ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم أحد : ما انتفت يميناً ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني ! « (٢) •

فدل هذا على أنها عاشت الى عهد عمر رضي الله عنه .
وتدل قصة المروط أيضاً على أن أم عمارة ، عاشت الى ما بعد سنة ١٣ من الهجرة ، ذلك لأن عرس عبد الله ابن عمر بصفية بنت أبي عبيد انما كان سنة ١٦ من الهجرة (٣) •

(١) المرط : بكسر الميم وسكون الراء : كل ثوب غير مخيط أو كساء من الصوف ونحوه يؤتز به •

(٢) الطبقات - ترجمة أم عمارة • وتروي أيضا القصة لصالح أم سليط بدلا من أم عمارة •

(٣) البداية والنهاية ص ٧٣ ج ٧ •

المصادر والمراجع

- | | |
|--|---|
| <p>محمد فؤاد عبد الباقي</p> | <p>١ - القرآن الكريم
٢ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم</p> |
| <p>للزمخشري
للشوكاني
للاغب الاصفهاني</p> | <p>٣ - تفسير الكشاف
٤ - تفسير فتح القدير
٥ - المفردات</p> |
| | <p>٦ - صحيح البخاري</p> |
| <p>لابن حجر</p> | <p>٧ - فتح الباري شرح صحيح البخاري
٨ - الاصابة في تمييز الصحابة
٩ - تهذيب التهذيب</p> |
| <p>لابن هشام</p> | <p>١٠ - السيرة النبوية</p> |
| <p>للسهيلي</p> | <p>١١ - الروض الأنف</p> |
| <p>حسين عبد الله باسلامة</p> | <p>١٢ - حياة سيد العرب</p> |
| <p>للزرقاني</p> | <p>١٣ - شرح المواهب اللدنية</p> |
| <p>للزركلي</p> | <p>١٤ - الاعلام</p> |
| <p>للبلاذري</p> | <p>١٥ - فتوح البلدان</p> |
| <p>لابن كثير</p> | <p>١٦ - البداية والنهاية</p> |

- ١٧- أعلام النساء
 ١٨- معجم قبائل العرب
 ١٩- تحفة ذوي الارب في معرفة
 الأسماء والنسب
 طبع ليدن ١٩٠٥ م
 ٢٠- امتاع الأسماع
 ٢١- سير أعلام النبلاء
 ٢٢- الاستيعاب
 ٢٣- مسند الامام أحمد
 ٢٤- المرأة العربية
 ٢٥- تهذيب الأسماء واللغات
 ٢٦- حلية الأولياء
 ٢٧- المغايري
 ٢٨- مجلة الهلال - العدد الخامس من السنة ٧٧ ،
 يونيه ١٩٦٩ م ربيع الأول ١٣٨٩ هـ .
- عمر رضا كحالة }
 لابن خطيب الدهشة }
 للمقريزي
 للذهبي
 لابن عبد البر
 لعبد الله عفيفي
 للنووي
 للأصفهاني
 للواقدي

الفهرست

صفحة	
٥	المقدمة
	قصة بطولة
١١	الفصل الأول
١٩	الفصل الثاني
٣٢	الفصل الثالث
٤١	الفصل الرابع
	أسرتها وسيرتها
٥٠	من هي أم عمارة
٧٣-٥٠	نسبها - بنو النجار - الخزرج - الأنصار - مولدها - والدها وأخوتها - حياتها الزوجية أولادها - سيرتها وصلاتها - وفاتها .
٧٥	المصادر والمراجع .

أم عُمارة

كانت شخصية أم عُمارة بكل اثارها، وحركتها وعظمتها تهيب بي أن أجعل للمرأة نصيباً في «المكتبة الصغيرة»، وأن أبدأ بها كمثال نبيل للجهاد، في وقت نحن أحوج ما نكون فيه لضرب الأمثلة على الجهاد .. الجهاد الذي يشترك فيه الرجال والنساء، لندافع جميعاً عن مقدساتنا، ولنسترجع الحقوق التي استبيحت، ولن نفعل ذلك ما لم نصدر — رجالاً ونساءً — في جهادنا عن إيمان عميق مثل ذلك الإيمان الذي تجلّى في موقعة أحد، إيمان بأن موقف المسلمين هو الأعلى، مهما كانت الظروف لأن الأيام مداولة، ويجب أن نملك الصمود والكفاح والنضال ليكون لنا النصر الأخير.

★ ★ ★

منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

ص.ب. ١٥٩٠ الرياض ١١٤٤١ ت ٤٧٧٧٢٦٩